محاضرة دوافع الاستشراق

عناصر المحاضرة:

1- **الدافع الديني.**

2- **الدافع السياسي.**

3- **الدافع الاستعماري.**

4- **الدافع الاقتصادي.**

5- **الدافع العلمي.**

6- **الدافع الثقافي.**

عرفنا أن الاستشراق هو قيام الغرب بدراسات وبحوث حول الشرق وما يتعلق به من دين وعقيدة وعلم وفن وثقافة وحضارة وتقاليد وغيرها، كما عرفنا أن المستشرقين قد بذلوا جهودا كبيرة وأموالاً طائلة، بل بعضهم أفنى حياته في البحث والتقصي والتأليف، فنتعجب أحيانا ونتساءل ما هي الدوافع التي تقف وراء تلك الانشطة ؟.

1- **الدافع الديني :**

دون شك كان الدافع الديني وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الاسلامية والعربية في أوروبا وقد صاحب الاستشراق طوال مراحله، ويتمثل هذا الدافع في الإتجاهات الاتية:

التشكيك في الدين الاسلامي:

سعى المستشرقون إلى التشكيك في الاسلام بحجة أنه ليس دينا منزلا من عند الله، وأنه مستمد من اليهودية والمسيحية، إدعاءاتهم باطلة مثل بعض نقاط الالتقاء بين الإسلام والديانات السابقة، وإتصال سيد الانام بعناصر يهودية ومسيحية، وقال المستشرق اليهودى "جولد زيهر": إن تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها بسبب إتصاله باليهود والمسيحيين وغيرهم والتي تأثر بها تأثرا عميقا " (عالم شوق، 2006، ص 68).

التبشير :

يقول لورانس براون ":(Lawrance Brown) إذا إتحد المسلمون أمكن أن يصبحوا لعنة

على العالم وأمكن أن يصبحوا نعمة لـه أيضـا، أمـا إذا بقـوا متفرقين فـإنهم يظلـون حينئـذ بـلا قـوة وتأثير"، وأفصح القس كالهون سيمون عن الهدف من التبشير المتمثـل فـي تفريـق المسـلمين كمـا عبر عن ذلك براون بقولـه " إن الوحـدة الاسـلامية تجمـع أمـال الشـعوب السـود وتسـاعدهم علـى التملص من السيطرة الاوروبية وعليه فالتبشير لكسر شوكة المسلمين ولإظهـار الاوروبيين فـي وضـع جـذاب، وسـلب الاسـلام مـن عناصـر القـوة والتمركـز، فوحـدة المسـلمين يجـب أن تفتـت والتبشير هدفـه الاول تفكيـك المسـلمين وبالتـالي إبعـاد وحـدتهم علـى إسـتعمار الشـعوب الاوروبيـة وعلى إستغلال ثرواتها" وأضاف " إن الخطر الحقيقي كـامن فـي نظـام الاسـلام وفـي قوتـه علـى الاخضاع...إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار" (البهي، د.ت، ص ص 6- 07).

كما سعى المستشرقون من خلال التبشير إلـى التنفيس عن الصـليبية وعن الانهزامـات التـي لحقـت بهـا طـوال قـرنين، ومحاولـة كسـر السـد المنيـع الـذي أقامـة الاسـلام فـي مواجهـة إنتشـار النصرانية، وعليه تمكين المسيحي من البلاد الاسلامية (البهي، د.ت، ص 07).

يبـدو واضـحا أن التبشـير مقدمـة أساسـية للاسـتعمار الاوروبـي لـذلك كانـت الحمـلات الاستعمارية تبسط الحمايـة علـى مبشـريها فـي البلـدان الاسـلامية فهـي تعتبـرهم حملـة مشـروعها وأرائها وثقافتها، كما أن هؤلاء إستخدموا عدة أساليب منهـا التعليم من خـلال تهيئـة شخصـيات لقبول المشروع الاستعماري (البهي ، د.ت ، ص 07).

تذكر بعض المصادر أن هناك مؤسسات في البلدان العربيـة تتبـع المستشـرقون لا يُرَى منهـا التبشير رغم أنهـا تمارسـه ومـن هـذه المؤسسـات نـذكر المعهـد الشـرقي بـدير الـدومينكان بمصـر، ندوة الكتاب بشارع سليمان باشـا، دار السـلام بمصـر القديمـة، المعهـد الفرنسـي بـالمنيرة، تخضـع هذه المؤسسات للاتجاه الكاثوليكي في بحث الاسلام وتراثه، كمـا تخضـع للنفـوذ الفرنسـي يعاونهـا بعض المصـريين ذوي الثقافـة الفرنسـية ممـن درسـوا الثقافـة الاسـلامية فـي فرنسـا برعايـة الاب الروحـي لـويس ماسـينيون عضـو مجمـع اللغـة العربيـة بالقـاهرة، ومستشـار وزارة المسـتعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا (البهي، د.ت، ص ص 3-4) .

تشويه الاسلام:

لنشر المسيحية وإسترداد من إعتنق الاسلام من النصارى عمل المستشرقون على تشويه

صورة الاسلام من خلال وصفه بأنه دين التعصب وأن رسول الله وضع السيف في أيدي الذين إتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الاخلاق ثم سمح لأتباعه بالسلب والفجور، وأنه وعد الذين يُهْلَكون (الشهداء) بالاستمتاع بالملذات في الجنة، وأنه أمر أتباعه بإخضاع جميع البشر أن يبدلوا جميع الاديان بدينه هو، كما أنهم نعتوا المسلمين بأنهم لا يفهمون الاديان ووصفوهم باللصوص والمتخلفين والقتلى، وأنهم فرضوا دينهم بالقوة، إنه دين ماديا وليس روحيا أجوفا من الإيمان، بينما أتباع المسيح ربحوا بالبرّ والاحسان (البهي، د.ت ، ص ص 08-09).

أُلِفّتْ في القرن الحادي عشر ميلادي كتب تناولت الاسلام مليئة بالاتهامات والشتائم دلت على التفكير السقيم، لم يُبذل فيها أدنى مجهود لفهم الاسلام وعلى رأس المؤلفين المتعصبين لهذه الفترة نذكر رايموند أسقف مدينة توليدو، وأيضا بيتر المعروف بإسم بطرس المحترم، حيث شن هذا الاخير حملته ضد القرآن ولام المسيحيين على مهادنة المسلمين (الخربوطلي، 1988، ص 57) .

الاساءة للرسول ﷺ :

من أشهر المستشرقين المتعصبين في العصور الوسطى الذين أساؤوا للرسول محمد ﷺ جيبرت أوف نوجنت (Guibert of Nogent) حيث كتب عنه مجموعة من الاساطير والخرافات، ونذكر أيضا هيلد برت أسقف مدينة ليمونز ورئيس أساقف مجمع تور سنة 1133 م، وفي النصف الاول من القرن الثاني عشر كتب المسمى والتر عن ظهور الاسلام ولما تطرق إلى رحلة الرسول إلى الشام رفقه عمه أبي طالب ذكر أنه كان بغرض غزو الاراضي الفارسية وهذا لا أساس له من الصحة، ثم يأتي دور توسكان توماس الذي كتب سنة 1278 م كتابات تسيئ لسيد الانام، عموما لقد أرادوا أن يعَبروا عن أحقادهم على الاسلام والرسول بعد أن عجزت الحملات المسيحية عن وقف تيارات الفتوحات الاسلامية وإنتشار الحضارة العربية في قلب أوروبا (الخربوطلي، 1988، ص 58) .

2- الدافع السياسي:

كان رجال السياسة في أوروبا على صلة وثيقة بأساتذة الكليات الشرقية، يستشيرونهم قبل إتخاذ القرارات السياسية الهامة فيما يتعلق بالدول الاسلامية، كما ربط الكثير من المستشرقين علاقات صداقة مع رجال السلطة بدول العالم الاسلامي وإستخدموها ستارا لأعمال التجسس (زقزوق، د.ت، ص 50).

كما كانت علاقات التوتر بين المسلمين والغرب وكذا للحفاظ على وضع سياسي قائم أو للرغبة في التوسع من أهم الدوافع السياسية للحركة الاستشراقية فمثلا الاستشراق الروسي كانت دوافعه كالاتي :

-علاقات العداوة المتوارثة بينها وبين الخلافة الاسلامية في إسطنبول التي تمثل القوى الاسلامية وهذه العداوة أشعلت عدة حروب بين روسيا والعثمانيين.

-خوف روسيا من ثورة الشعوب الاسلامية الواقعة تحت هيمنتها.

-أطماع روسيا في المناطق المجاورة للوصول إلى البحر الابيض المتوسط والخليج والبحر العربي للسيطرة على طرق الملاحة الدولية.

-وضع المسلمين في آسيا الوسطى.

-السعي لكسب تأييد المسلمين لسياسة روسيا.

-الموقع الاستراتيجي للعالم الاسلامي وصلات المسلمين بالاماكن المقدسة (شهاب، 1982، ص 26).

3- الدافع الاستعماري:

تميزت حركة الاستشراق منذ الحملات الصليبية بإندفاع مهماتها على خطوط متوازية وأحيانا تتشابك وتتداخل، منها الخطين السياسي والإستعماري (خراط، 2005، ص 30)، كان للحركة الاستعمارية دورا في تحديد طبيعة النظرة الاستشراقية خصوصا بعد منتصف القرن التاسع عشر، ولقد إستفاد الاستعمار من دراسات المستشرقين، كما عزز الاستعمار موقف الاستشراق، فأُنْشِئَتْ له مؤسسات، ونشأت رابطة رسمية وثيقة بين الاستعمار والاستشراق وإستخدم الكثير من المستشرقين أقلامهم وعلمهم لإذلال المسلمين (زقزوق، د.ت، ص 47).

من بين الامثلة التي تؤكد الدافع الاستعماري للاستشراق نذكر المستشرق كارل هنريش بيكر (Karl Heinrich Beker)ت 1933 م) مؤسس مجلة الاسلام الالمانية قام بدراسات تخدم الغرض الاستعماري الالماني في إفريقيا، فسيطرت ألمانيا بين 1885 و1886 م على مستعمرات إفريقية تشمل المسلمين وظلت كذلك إلى 1918 م، وأدت هذه الهيمنة إلى تأسيس معهد اللغات الشرقية في برلين سنة 1887 .

أيضا تكليف روسيا المستشرق بارتولد) (Barthold) ت 1930 م) مؤسس مجلة عالم الاسلام الروسية (Mirislama) ببحوث تخدم مصالحها الاستعمارية في روسيا الوسطى، أما المستشرق الهولندي سنوك هورجرونيه (ت 1936 م) توجه إلى مكة سنة 1885 م منتحلا إسم شخص عربي وأقام هناك تقريبا ستة أشهر، ولعب هذا المستشرق دورا في تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية في الهند الشرقية وشغل منصب هام في القيادة الاستعمارية الهولندية في أندونيسيا (زقزوق، 1997، ص ص 47- 48).

ترجم المستشرق الفرنسي دي ساسي البيان الموجه للجزائريين، وكان يستشار كثيرا من قبل وزارتي الخارجية والحربية، كما كان ماسينيون مستشار للإدارة الاستعمارية في الشؤون الاسلامية، وأوضح المستشرق الفرنسي هانوتو في مقال موسوم بـ " قد أصبحنا اليوم إزاء الاسلام والمسألة الاسلامية " مقترحاته لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها، وفي بريطانيا كان كيرزن (Curzon) من الداعين إلى إنشاء مدرسة للدراسات الشرقية بإعتبارها ضرورية لتثبيت الهيمنة البريطانية في العالم الاسلامي (زقزوق، د.ت، ص 49).

عمد المستشرقون إلى دراسة الإسلام وعلومه وآدابه، وذلك لخدمة المخطط الاستعماري، الذي كان يهدف إلى السيطرة على العالم العربي والإسلامي، حتى يتمكن الاستعمار من التعامل مع الشعوب المنهزمة على ضوء ما عرفوه عنها وسعى المستشرقون إلى:

- معرفة نقاط قوة المسلمين لاسيما في الجانب الروحي وكل ما يتعلق بالولاء والوطن والوطنية، والعمل على بث روح الضعف والخوف في نفوسهم لتحويلهم إلى وضع قابلية للاستعمار .

- نشر الثقافات المادية الغربية المنافية لقيم ديننا الحنيف.

- إحياء النعرات والمذاهب وإحلال المفاهيم القومية الضيقة (بوسليم، 2016 ص 238).

- بث الريبة والشك فى تراث وماضى وحضارة الأمه الاسلامية، ليفقد المسلم ثقته في هويته فيبحث له عن هويه وإنتماء آخر وبالتالي يتم لجوءه إلى الغرب يندمج في شبكاته وظهرت مصطلحات: التنوير، التقدميه كمبررات لتقليد الغرب .

- وضع مفاهيم جديدة وطرحها على الرأى العام من خلال أجهزة الإعلام، بقصد إضعاف روح الانتماء الإسلامى والعربى، فطرحوا الفكر القومى بدلا من الانتماء الإسلامى وعملوا

على إحياء الفرعونيه فى مصر، والفينيقيه والآشوريه في العراق والشام، والكرديه والفارسية والتركية ...، بدلا عن رباط الاسلام والخلافة العثمانيه .

- روج المستشرقون لروح الجاهلية وتناثرت حلقات عقد الأمة بالقضاء على الخلافه العثمانية التى كانت رمزا للوحدة الاسلامية، وإحتل الحديث عن القوميات مكان الصدارة بدلا من الحدبث عن الانتماء الإسلامى وفُتِح العالم الاسلامي على مصرعيه للاستعمار، بعد أن مهد الاستشراق له بخلق روح القابلية للاستعمار وإضعاف روح الانتماء الدينى بين المسلمين (الجليند، 1999، ص ص 21- 22).

اتسع مجال السيطرة الاوروبية المباشرة من 35 إلى 85 بالمئة فسيطرت إنجلترا على 30 مليون كلم2 و400 مليون نسمة وهيمنت فرنسا على 10 مليون كلم2 وهيمنت بلجيكا وإيطاليا والولايات المتحدة الامريكية على حصص أقل (بوسليم، 2016، ص 238).

تبرير الاستشراق للفعل الاستعماري تم قبل حدوث السيطرة العسكرية والسياسية فكان التراث الاستشراقي دليل للاستعمار في شعاب وأودية الاقاليم الاسلامية من أجل الاحتلال، وبعد تحقق السيطرة والهيمنة الكلية إتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار إلى إضعاف المقاومة الروحية في نفوس المسلمين وتشكيكهم في معتقداتهم وفي تراثهم، ليتم في آخر المطاف فرض السلطة والثقافة والقيم الغربية (زقزوق، د.ت، ص ص 50- 51).

4- الدافع الاقتصادي:

عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية كانت في أمس الحاجة للمواد الاولية لتسير حركتها الصناعية فضلا عن حاجتها لأسواق لتصريف منتجاتها ومختلف مبيعاتها، لذلك توجب عليها البحث عن البلدان التي تمتلك الثروات الطبيعية وأيضا التي تفتح بها أسواق، لذلك إتجهت نحو بلدان العالم الاسلامي لاستغلال ثرواتها ونهبها قدر الإمكان خاصة بعد السيطرة الاستعمارية، ليصبح التنافس على أشده بين الدول الاوروبية لتوسيع رقعتها الاستعمارية والزيادة في عدد مستعمراتها وأيضا التنافس بين الشركات الانتاجية والمصانع مما جعل الشرقيين ينظرون نظرة إحتياج للمستعمر(خضير، 2011، ص 401).

لعلى ما يثبت أن أحد دوافع الاستشراق الدافع الاقتصادي القرار الصادر سنة 1636 م القاضي بإنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج والذي جاء كالتالي: " ... نحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الادب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلا من إحتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها، ولكننا نهدف أيضا لتقديم خدمة

نافعة للملك وللدولة عن طريق تجارتنا مع الاقطار الشرقية وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة " (النعيم، 1997، ص 19).

ربط مفكروا الرأسمالية في مرحلة إنتقالها إلى الشكل الإمبريالي التوجه الاقتصادي والسياسي الامبريالي نحو برجوازية العالم الاسلامي (خراط، 2005، ص 30) .

كما يقول أحمد سمايلوفتش :" أدرك الغرب أنه إذا اراد أن يتفوق على الشرق فليس له من سبيل أخر يوصله إلى إنتزاع الامور من يده إلا بتعلم لغاته وما يتعلق به من حضارة وعلوم، وادرك انه لكي يتسرب إلى مصادر القوة في الشرق ويستنزفها يجب عليه ان يتسلح بالقوة الاقتصادية "، كما حرص المستشرقون على قتل النشاط الاقتصادي لدول المسلمين حتى تستمر تبعيتهم للغرب (زلافي، 2019، ص 283).

أرسلت المؤسسات المالية الغربية من يتولى إدارة شؤونها في الشرق فعينت المستشارين والمترجمين من المستشرقين، ودأب المهتمين منهم بالتراث العربي على جمعه وتحقيقه ونشره والاستفادة منه، أنشأوا المؤسسات المالية في الخليج واليمن عُين بعض مسؤوليها من المستشرقين (الجليند، 1999، ص 22).

5- الدافع العلمي :

لا جدال في أن أوروبا لم تكن لتحقق نهضتها دون الاخذ بالاسباب والمتمثلة في دراسة منجزات الحضارة الاسلامية في مختلف الحقول المعرفية والحضارية حتى قيل: " أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته"، ويدل عدد كتب المسلمين المترجمة إلى اللغات الاوروبية على أن الدافع العلمي كان من محركات الاستشراق في جميع مراحله (مطبقاني، د.ت، ص 08).

من المستشرقين الذين بحثوا للدافع العلمي نذكر السويدي كارل فلهلم سترستين، والبولونية بوجينا غيانة ستيجفسكا، وكاري مولر والأمريكي واشنطن إيرفنغ والالماني هوفمان وغيرهم، تميزت دراساتهم بالموضوعية والنزاهة وأثمرت أبحاثهم عن كشف ملامح وخصائص علوم المسلمين وحضارتهم، ولعلى من النتائج أيضا إرجاع الحق لأهله ووصف المسلمين والاسلام بالسماحة وفضلهم على الغرب، وهو الامر الذي جعلهم عرضة للعداء والانتقاد من الجهات السياسية والدينية لبلدانهم خاصة وأنهم درسوا جميع مخلفات المسلمين في الجانب العلمي والحضاري وترجموا وأخذوا عنه (بن حليمة، 2019، ص ص 123- 124، ص 128).

يعترف بعض المستشرقين بفضل العرب على أوروبا في المجال العلمي فيقول أحدهم "... إن ما ندعوه العلم الحديث ظهر في أوربا نتيجة لروح البحث الجديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لمنهج التجريب والملاحظة والقياس، وتطور العلوم والرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الآوروبي" (بليلة، ضيف، 2022، ص 176).

6- الدافع الثقافي:

إهتم المستشرقون بالعالم الاسلامي وذلك لصياغة فكر عربي جديد، ونشطت الدراسات الاستشراقية مع بداية عصر الامبريالية وإتجهت بطابعها لدعم هذه السيطرة بقواعد فكرية وإيديولوجية تبنى على أسس من الثقافة الأوروبية وتكوين تيار من المفكرين والايديولوجيين المنتمين إلى برجوازيتها وفكرها، لِتُولي هؤلاء مهمة ترسيخ تلك القواعد في بلدانهم بأنفسهم مسترشدين بالمناهج والاساليب التي كرّسها المستشرقون (خراط، 2005، ص 31).

عمدت الدول الاوروبية على نشر ثقافتها في العالم الاسلامي إنطلاقا من النظرة الاستعلائية التي يُنظر بها إلى المسلمين وذلك عن طريق نشر النمط الثقافي الغربي في اللباس والعادات ... نشر لغاتها ومحاربة اللغة العربية حتى تَوَقَّعَ كبار المستشرقين أن تستبدل مصر اللغة العربية باللغة الفرنسية مثلما وقع في دول شمال إفريقيا (بن حليمة، 2019، ص 126).

مراجع المحاضرة:

1- عالم شوق، شاكر. (2006). الاستشراق أخطر تحدي للاسلام. مجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ. (مج 3).
2- صالح، بوسليم. (2016). حركة الاستشراق: المفهوم والنشأة، الدوافع والأهداف. مجلة الحوار المتوسطي، (ع 11).
3- شهاب، محمد أسد. (1402 ه-1982م). الاستشراق الروسي. مجلة الامة. (عدد شعبان).
4- زلافي، إبراهيم .(2019). الاستشراق نشأته وأهدافه. مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والانسانية، (ع08).
5- خضير، صلاح الدين حسين. (2011). الاستشراق وشبهة الدافع الاقتصادي للاراضي المفتوحة (نقد وتحليل)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، (مج 3). (ع 10).
6- خراط، محمد يحي. (2005). الاستشراق والمستشرقون، مجلة المعرفة.(ع 507).

7- بـن حليمـة، عـز الـدين. (2019). الاستشـراق فـي الأدب العربـي: أهدافـه ووسـائله وأصناف المستشرقين. مجلة قضايا الأدب. (مج 04). (ع 02).
8- النعيم، عبد الله محمد الامين. (1997). الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لاراء-وات بروكلمان- فلهاوزن). (ط1). د.م: المعهد العالمي للفكر الاسلامي.
9- مطبقاني، مازن صلاح. (د.ت). الاستشراق. المملكة العربية السعودية: (د.ن) .
10- زقـزوق، محمـود حمـدي. (1997). الاستشـراق والخلفيـة الفكريـة للصـراع الحضاري. القاهرة: دار المعارف.
11- الخربوطلي، علي حسني. (1988). المستشرقون والتاريخ الاسلامي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
12- البهـي، محمد. (د.ت). المبشـرون والمستشـرقون ومـوقفهم مـن الاسـلام. القـاهرة: منشورات الازهر.
13- بليلـة، عبـد القـادر. (2022). إسـهام المستشـرقين فـي ترجمـة الـنص الأدبـي العربـي القديم إلـى لغـات العـالم. مجلـة القـارئ للدراسـات الأدبيـة والنقديـة واللغويـة. (مـج 05). (ع 04).
14- الجلينـد، محمد السـيد. (1999). الاستشـراق والتبشـير قـراءة تاريخيـة مـوجزة. القاهرة: دار قباء.